أدب الحــوار

د. بشير أحمد يوسف*

المستخلص

يهدف البحث إلى تأصيل قضية حياتية لا تكاد تغيب عن واقع الناس، خاصة أهل الفكر. وهي قضية الأخذ والرد بين الناس عبر وسائط الاتصال المختلفة. وتتأكد أهمية الموضوع من طبيعة الحوار نفسه الذي نحتاج إليه في كل مراحل حياتنا وفي مستوياتها المختلفة. وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي حيث تناول البحث الحوار في مبناه ومعناه، والضوابط التي يتوجب التزامها حتى يصل إلى هدفه الأسمى. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: ضرورة تعهد النفس ومراجعتها، كونها نزاعة للهوى وإعادة التوازن للخطاب الدعوي والتزام الحسنى والحكمة في مسيرة الحوار والسعي لتأليف القلوب.

* أستاذ مساعد ، كلية التربية – رفاعة ، جامعة البطانة.

مـقدمـة:

قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن تحيا البشرية حياة طبعها التعارف والتعاون والأخذ والعطاء يقول تعالى{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** }[1]. ومن مقتضيات هذا التعارف والتعاون المباشرة والمحاورة وكلما تعمقت الصلات وتداخلت الحاجيات كان الداعي إلى الحوار الموضوعي والمنهجي أغلب وأبين.

ولما كانت معظم الحوارات تصل إلى طرق متفرقة جاء هذا الموضوع كونه مرتبطاً ارتباطاً وثيقًا بالواقع الذي نعيشه وليعالج محاور الحوار الأمثل ويبين آثاره وبالتالي الآثار السالبة لمجانبته. إذ إن في كل نفس استعداداً لأن تكون إيجابية أو سلبية أو الأثنين معاً على اختلاف في النسبة واختلاف في مواضع السلب والإيجاب.

وأيّاً ما كان المنشأ فإنّ الفطرة بخلجاتها العجيبة المتجاورة والمتقابلة قد تنحرف يميناً أو شمالاً إذا ترك الإنسان بلا توجيه معين. إذ لا إصلاح بلا رقابة واعية وقد يركن الإنسان لعادة أو شهوة فينطلق معها إلى آخر المدى. وقد يؤدي الانحراف شمالاً إلى تبجح وعناد وإصرار يريد الإنسان من خلاله أن يثبت وجوده ويحقق ذاتيته، فيحطم ما تحته. فالتحطيم أسهل من البناء. ويعتدي والعدوان أقرب إلى النفوس الهابطة ويرتكب كثيراً من ألوان الشر ليبرز ويشار إليه. فلا مقياس لشيء أو فكرة أو سلوك أو عمل إلا ما يراه هو أنه الصواب.

ألوان من الانحراف لا تصدر عن فطرة سليمة فالفطرة السليمة تثبت وجودها وتحقق ذاتيتها في قبول الحق أياً كان مصدره وأنها لمرتقىً عالياً لا يبلغه إلا أولو العزائم . وصدق الله العظيم حيث يقول:{ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**}[2].

وفي واقع الأمر فإنّ التسليم بالحق ليس تسليماً لشخص مساوٍ لك فيكون في ذلك التسليم غضاضة على النفس وليس تسليماً لعدو قاهر وإنما هو تسليم الحب والرضا والطمأنينة من أجل الحق ومن ثم كان المسلمون الأوائل الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان يستعلون على القوى المادية وكل نوازع النفس[3].

الحوار في اللغة والاصطلاح :

جاء في لسان العرب في مادة حور: الحور الرجوع عن الشيء وإلى الشيء[4]، وقال الجوهري : حار يحور حورا بمعنى رجع: وفي الحديث[5] من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك حار عليه أي رجع إليه ما نسب إليه.

قال لبيد بن ربيعة :-

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه * يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

1 سورة الحجرات الآية 14

2 سورة فصلت الآية 35

3 قطب محمد إبراهيم حسين شاذلي ، منهج التربية الإسلامية ، ط 8 ، دار الشروق ، بيروت ، ص 12.

4 ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور المصري الأفريقي، لسان العرب، مادة حور، ج3 ص177

5 أخرجه مسلم، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ج1، ص197 ، رقم 193.

والحواريون هم خاصة الأنبياء. قال تعالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**}[6] وكذلك قوله (ε) الزبير ابن عمتي وحاوري من أمتي[7].

وجاء في مختار الصحاح : الحوار ولد الناقة ويظل كذلك حتى يفصل وإنما خص بهذا الاسم لأنه يحور حول أمه[8]

ومما جاء في القاموس المحيط: المحورة والحويرة : مراجعة النطق وتحاوروا أي تراجعوا الكلام بينهم[9].

أما معناه الاصطلاحي فلا يبعد كثيراً عن ما ورد في قواميس اللغة بل لعل بعضها أشار صراحة إلى الاصطلاح المتعارف عليه وإذا رجعنا بالمصطلح إلى أصول لغة القرآن نجد أنّ اللغويين أنفسهم قد أخذوا مادتهم من ورودها في القرآن الكريم. وقد كانت المحاورة من الأساليب الحية لدى العرب في جاهليتهم قال عنترة متحدثاً عن فرسه وقد أعياه المسير وشدة الضرب والطعان:

لو كان يدري ما المخاطبة اشتكى * ولكان لو علم الكلام لمكلمي

فالشاهد هنا هو ما أورده من مترادفات الحوار مثل المخاطبة والشكوى.

وكذلك الحال عند المفسرين فقد أوردها الإمام القرطبي في جامعه بمعنى مراجعة الكلام[10] وأشار إلى قوله تعالى في سورة المجادلة تجادلك أي تحاورك وتراجعك.

وقد وردت كلمة حوار بلفظها ثلاث مرات في القرآن الكريم منها قوله تعالى { **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** }[11]

أما المرة الثالثة ففي سورة المجادلة. في قوله تعالى { **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير** }[12] ومنها نخلص إلى أنَّ العملية المسماة حواراً هي عبارة عن محادثة كلامية يشترك فيها طرفان أو أكثر. وهنالك كلمات كثيرة مرادفة كلمة حوار جاءت في القرآن الكريم منها القول ومشتقاته وكذلك الجدال والخطاب والمناجاة والمناداة وكلمات أخرى تحمل معنى معكوسا للحوار مثل المخاصمة والمحاجة.

وقد رصد بعض الدارسين مادة قول بتصريفاتها واشتقاقاتها وخلص إلى نتيجة مفادها أن تكرار مادة القول مؤشر على أن الحوار منهج أصيل في القرآن. يقول الإدريسي[13]: وعكفت على المصحف مرة فانتهيت إلى ما يأتي:-

---

6 سورة الصف ، الآية 14.

7 أخرجه الحاكم، باب ذكر مناقب الزبير بن العوام ،ج3، ص10

8 الفيروز أبادي، أبو عبد الله محمد بن الحسين، مختار الصحاح، ج3، ص161.

9 القاموس المحيط، ص487.

10 القرطبي /ابن عبد الله بن محمد الأنصاري – الجامع لأحكام القرآن، بيروت ج 11 ص 26.

11 سورة الكهف الآيات 30 -37.

12 سورة المجادلة الاية 1.

13 هو المقرئ أبو زيد الإدريسي في مقالة بعنوان لغة الحوار في القرآن الكريم، مجلة الرشاد، العدد العاشر السنة الخامسة نوفمبر 2000م، ص 14-15.

مادة قول تتكرر في القرآن الكريم 1722 مرة وهو رقم ينبغي الوقوف عليه. وأكثر من ذلك الحضور الكمي والحضور الكيفي لهما وغير ذلك من أساليب الحوار الفعلي المنتشرة في القرآن العظيم[14].

الفرق بين الحوار والجدل:

وقبل الدخول في أسس وضوابط الحوار ينبغي التفريق بصورة واضحة ومحددة بين الحوار والجدل، إذ كل منهما حديث وحوار بين طرفين لكن أصلهما مختلفان.

فالجدال غالباً ينحو منحى الخصومة وفي أحسن حالاته يفيد التعصب والعناد والتمترس خلف الرأي. وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على هذا القول أعظمها قوله تعالى:{ **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**}[15].

وكذلك قوله تعالى:{ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**}[16].

وقد وردت مادة الجدال في مواضع كثيرة في القرآن الكريم حيث كانت في أحسن دلالاتها عدم الرضا مثل قوله تعالى:{ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** }[17].

وعلى هذا فالجدال أمر منكر في كل حالاته ففي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: أني خرجت لأخبركم بليلة القدر وأنه تلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التسع والسبع والخمس [18] .

والملاحاة هي المنازعة والخصومة التي تتضمن جدلاً. وفي صحيح مسلم يحتقان أي يدَّعي كل منهما أن الحق معه.

وقد قدم القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما كان بين الله سبحانه وتعالى وملائكته، في قوله تعالى{ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** }[19]. ومنه ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبعض رسله كالذي دار مع خليل الله إبراهيم عليه السلام: { **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** }[20].

وكذلك ما ورد في قصة سيدنا موسى عند طلبه رؤية الحق جلا وعلا، وكذلك الحوار في قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف وغيره كثير.

14 محمد بابكر العوض ، أصول الطاهرة الاتصالية في القرآن ، مجلة تفكر ، المجلد 1، العدد 1 2005 - ص 152، معهد ، سلام المعرفة.
15 سورة فاطر الآيات 4-5.
16 سورة الحج ، الآية3.
17 سورة المجادلة ، الآية1.
18 سورة الحج ، الآية3.
18 صحيح البخاري 20/8.
19 سورة البقرة ، الآية30.
20 سورة البقرة ، الآية 260.

وبعد الوقوف على هذه النماذج القرآنية الرائعة يتبين لنا أنّ القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على الحوار في توضيح المواقف وجلاء الحقائق، وتحريك الوجدان واستجاشة الضمير ومن اللطائف في هذا المقام أنّ القرآن ينهض بكرامة الإنسان وتقدير عقله وإعلاء شأنه حيث يتجه به إلى طرق الإقناع بالبينات والبراهين.

وكذلك نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أوفى ما عليه من إبلاغ الرسالة واتخذ وسائل شتى لتمكين الدين في النفوس وترسيخ المعاني في القلوب وجلاء الأوهام عن العقول. ومن ضمن شمائله صلى الله عليه وسلم في ذلك كان الحوار سيداً فصلاً حتى على أشد أعداء الدين خصومة وأكثرهم فجوراً للدعوة وأتباعها.

روي أصحاب السير أنّ عتبة بن ربيعة ابتعثه قومه ليحاج الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره الذي جاء به ، فقال له : يا ابن أخي إنّك منّا حيث قد علمت من السطه[21] في العشيرة والمكان في النسب. وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم. وكفَّرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع. فقال عتبة ما قال حتى إذا فرغ قال له : أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ من سورة فصلت، حتى انتهى إلى موضع السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك[22]. ولعلنا نخلص من هذه الحوارية بعدة فوائد منها:-

1- أنه صلى الله عليه وسلم قد أحسن الاستماع إلى محدثه حد الإحسان كيف لا وهو القائل إن الله قد كتب الإحسان على كل شيء[23].

2- أنه أعطاه فرصة أخرى بقوله: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ مما يؤكد ما يكنه صلى الله عليه وسلم لمحاوره من تقدير وإكرام وبرهن على ذلك دعوته له مكنيا " أبا الوليد" ولا يخفى على السامع ما تحويه من إكبار وإجلال قال الشاعر[24]:

أكنيه إذ أناديه لأكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

فالأخلاق الحسنة هي مفتاح الرضا والقبول لدى الطرف الذي تحاوره، وتذكر أنّ الذي تحاوره لا يعدو أن يكون أخاً لك ولو في الإنسانية فالبشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء والبشر يطفئ نار المعاندة وفيه تحصين من الباغي.

وهكذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة الحسنة أرق ما يكون أسلوباً في حواره وأفسح ما يكون صدراً لمخالفيه، وضرب أروع الأمثلة في حسن الاستماع. روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ الأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت"[25].

منهج الحوار في الإسلام:

إن طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله؛ حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض وهذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها. وإن من أهم عناصر الفكر الإسلامي أنه قام على قواعد عقيدة ربانية راسخة تلزمه الحيدة

21 السطه: بمعنى المكان.

22 ابن هشام، أبو محمد جمال الدين يوسف المعروف بابن هشام الانصاري ، السيرة النبوية، مطبعة السعادة مصر ، ص78.

23 أخرجه مسلم، باب الأمر بالإحسان، والذبح والقتل والشفرة، ج1، ص122، رقم 3615.

24 أورده أبو تمام في الحماسة ونسبه إلى أحد الفزاريين، ص67، كما ذكره عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ج2، ص210.

25 رواه البخاري.

والإنصاف[26]. لذلك يظل المسلم في مشواره الحياتي طالباً للحق ويدور معه حيث دار لقوله تعالى: { **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** }[27]. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم" الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها"[28].

وعلى هذا فإنّ المؤمن الصادق يلجأ إلى الحوار من أجل تبيان الحق والإذعان التام له أياً كان مصدره، وقد مر بنا مقولة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب " أصابت امرأة وأخطأ عمر".

مقتضيات الحوار:

فعلى الداعية قبل الدخول في الحوار مراجعة نفسه فإنها أمارة بالسوء ليتأكد من نيته في ذلك أهي لله عز وجل أم هوى متّبع وإعجاب نفس وليتأكد المحاور أنّ النية هي الفيصل بين الحوار الهادف وبين الجدل المذموم . قال المولى عز وجل:" { **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** }[29] وقال صلى الله عليه وسلم:" إنّ أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم عندي منزلة الثرثارون المتشدقون المتفيقهون"[30]. وليحذر الذين يخالفون عن أمر الله في هذه المقامات أن تصيبهم الفتنة - وما أقربها - وقد ورد في الأثر ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ويقول الله سبحانه وتعالى في تحقيق قضية الحوار والإخلاص:{ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** }[31].

وليتذكر الفرد المسلم حقيقة الأشياء وطبيعتها ونعني بها الخلاف الفطري الذي أوجده الله سبحانه وتعالى في خلقه قال تعالى: { **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** }[32]. فهناك اختلاف العقول في العلم والفهم وهو نتيجة لطبيعة الاختلاف ووجهات النظر هذا إلى غير ما هو معلوم من الدين بالضرورة. بل يعد الاختلاف في فروع الدين رحمة بالأمة كما جاء في الحديث: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[33] وذلك دون المساس بالعروة الوثقى التي تجمع بين المسلمين بل إن الحب بينهم فريضة واجبة ففي الحديث " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا"[34].

وقد حدث الاختلاف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج الشيخان أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب:" لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق . فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها. وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم"[35]. وقد ورد عن عمر بن

---

26 عقيلي إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1 1994م، ص11.

27 سورة النور، الآية 51.

28 رواه الترمذي، في السنن، باب ما جاء في فضل الفقه عن العبادة، ج9، ص301، رقم 261.

29 سورة غافر ، الآية 5.

30 أخرجه الترمذي.

31 سورة النساء الآية 114.

32 سورة هود الآية ، 118- 119.

33 أخرجه ابن بطة، في الإبانة الكبرى، ج2 ص، 220، رقم 720 .

34 رواه مسلم، في باب أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمنون، ج1، ص180، رقم 81.

35 أخرجه البخاري، في باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً، ج3، ص 498، رقم 894.

عبد العزيز قوله: ما أحب أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا. لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق، وأنهم أئمة يقتدى بهم[36].

وهناك أمر مهم لمحاصرة الخلاف. وهو تحديد الأصول والفروع وتقدير الأولويات، فلا يؤدي التنازع على الفروع إلى وأد الكليات ولا تذهب نافلة حقاً لفريضة بسبب الخلاف ومن بعد ذلك فلا كبير حرج في الاختلاف وليبق الود ولتبقى المحبة بين المسلمين ولله در من قال:" فلنحمد الله على ما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"[37].

فالحوار هو منهج أصيل في حياة الإنسانية. بل هو تعبير حقيقي عن وجودها. وهو إلى جانب ذلك ضرورة إنسانية، فليس من المعقول غياب مبدأ الحوار بين طوائف البشر، بل إنّ غيابه يشكل فساداً وقطيعة بين الناس لقوله تعالى: { **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ إِنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** }[38].وعلى هذا فالحوار ليس مجرد فضول في السلوك أو القول ولكنه ضرورة قصوى تتمدد بتمدد حركة الإنسان سلباً وإيجاباً ومن هنا فالحوار ضرورة شرعية والشَّريعة وحدة لا تتجزأ فكونه ضرورة شرعية فلأنه يمثل كل القيم الخيرة عند الإنسان صلاح وإصلاح وعبادة، قال تعالى:{ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** }[39].

ويتأكد بالتجربة والبيان العملي أنّ الحوار هو أفضل وسيلة لتوصيل الحقائق، وكذلك يمثل مؤسسة متكاملة للتربية والتعليم وموطن الإصلاح الاجتماعي. فليس للحوار هدف إلا إبراز الحق وتوضيحه بعيداً عن التباين والتفاضل بين الناس، بل أن القرآن نفسه يؤسس على مفهوم الاختلاف بين البشر{ **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** }[40] الأمر الذي لا يترتب عليه أي ميزة على الآخر أيا كان انتماؤه **قال تعالى:** { **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** }[41]. وقد أجاز الإسلام أجاز التزاوج مع الكتابيين وأحل ذبائحهم، وبهذه القيم ظل وجود الآخر معتبراً في الشريعة الإسلامية؛ لذلك كان الهدف الرئيس للحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب طيلة العهد النبوي هو إبلاغ الرسالة وإقامة الحجة والبرهان. وبهذا يتضح جلياً أن لا مساحة للاختلاف بين الناس إلا بالقدر الذي يؤدي إلى الحقيقة. ولعل في هذه النماذج أعظم العبر في إبعاد الأفكار المسبقة تجاه الآخرين أو دمغهم بأوصاف معينة مما يهدد مسبقاً إقامة هذا الركن المهم في حياة الناس.

القواعد الأساسية للحوار:

هناك عاطفة قوية عند البعض تجاه هذا الدين ولعل هناك ما يبرر هذا الاندفاع فهناك التناقض الذي يحس به المؤمن إحساساً حاداً بين الصورة المشرقة للإسلام وبين الواقع الآسف الذي يعيشه المجتمع حوله[42]. فيتجه إلى حوار هذا الجمع دون

36 الشاطبي، أبو إسحق بن موسى اللخمي، الاعتصام ، علق عليه محمد حسن مخلوف ط بدون، دار الفكر ص195.

37 البنا، الإمام حسن،كتاب التعاليم، دار الإعتصام القاهرة، ص142.

38 سورة محمد ، الآية 22.

39 سورة آل عمران ،الآية 110.

40 سورة الحجرات ، الآية 13.

41 سورة المائدة ، الآية 8.

42 محمد الهاشمي الحامدي ، محاور إسلامية، بيت المعرفة ، ط 1989 ، بيروت ، ص 72.

حظ وافر من العلم أو عن الفكرة التي يريد طرحها وهذا لا يتأتى له، قال تعالى:{ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** }[43].

إنّ العلم بالحوار وتفاصيله يمكّن المحاور من الوقوف على أرض ثابتة تكسبه احترام الآخرين، فعليه أن يجمع أطراف موضوعه ويتحلى بالصدق مع نفسه ومع أفكاره التي يدعو لها وإلا انقلب الحال إلى هزيمة للفكرة ، فأغلب الناس يريدون تجسيد الفكرة المجردة في شخص صاحبها ويعتبرون انتصاره انتصاراً لها ودليلاً على أنها حق . فالعلم أوجب الواجبات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى:{ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**"}[44].

وبعد هذا الكسب الوافر لمعينات الحوار ـ العلم ـ ومع أهميته فإنه ذاته قد يمثل أداة للهدم والخسران، فقد يؤتى من قبل علمه العالم ويؤثر مباشرة على الحوار، فعلى المحاور أن ينأى بنفسه عن هذه الآفات. فقد يؤدي به العلم لإدعاء الحق المطلق والإعجاب بكسبه فينزع إلى تنصيب نفسه وصياً على الآخرين، ويظهر ذلك من خلال فلتات لسانه وقسمات وجهه وحركات يديه.

ولما كان الحوار بطبيعته يشكل مفاتيح الحق فعلى المتحاورين أن يتبعا القول بالعمل، بتجنب رفع الأصوات والسباب وغمط حق الغير، وهو من أنجع الوسائل وأقربها للنجاح قال تعالى:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** }[45]. وقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة للناس في واقع الأمر، يرونه وهو بشر مثلهم وتتمثل فيه كل صفات الخير والحق فيؤمنون بها حقاً لأنهم يرونها رأي العين فتتحرك لها نفوسهم وتهفو لها مشاعرهم لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل. سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن.

فعليه يتوجب على من يدَّعي فكرة يدافع عنها أن يتبع قوله عملاً أسوة بسيد المرسلين قال تعالى: { **قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** }[46].

معالم في طريق الحوار:

قبل البدء في الحوار ينبغي أن يقدَّم كلاً من المتحاورين نفسه للآخر، فكثيراً ما تكون البداية الأولى سبباً في تغيير أو طرح كثير من المفاهيم التي تحملها تجاه الطرف الآخر، وبذلك يتشكل الانطباع الأول الذي أثبتت الممارسة أثره الكبير في مجريات الحوار ومستقبل العلاقة المترتبة عليه خاصة إذا لم يكن هناك سابق معرفة بين الطرفين. والقرآن يقرر ذلك مع رسل الله تعالى إلى مرسليهم قال تعالى:{ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** }[47] .

الحوار ليس غاية بل وسيلة:

43 سورة يوسف، الآية 108.
44 سورة محمد ، الآية 19.
45 سورة الصف، الآية 2-3.
46 سورة الأحزاب ، الآية 21.
47 سورة الشعراء الآية، 141 – 143.

وليتذكر المسلم الرسالي أنّ الحوار ليس غاية في ذاته بل هو وسيلة لتحقيق الحق والإذعان إليه، فمن أخطر إصابات النفس الإنسانية في هذا المجال ما يصيبها من الزهو والغرور عند نشوة النصر، فيستمر الإنسان في استعراض قدراته ومحفوظاته حتى يخيل إليه أنه بلغ الهدف. فمن عواقب هذا الداء انقلاب الوسيلة إلى غاية، الأمر الذي يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والانكفاء على قراءة الذات مما يؤدي إلى :-

الضيق بالرأي الآخر، حيث لا يرى إلا رأيه، وتعد هذه من الإصابات الكبيرة التي لحقت بالعقل المسلم. وأفقدته القدرة على الحوار والمناظرة والتوهم بأنه وحده يملك الحقيقة والصواب المحض[48]. وكذلك يؤدي إلى إشاعة الإرهاب الفكري، وهذا مدخل من مداخل الشيطان أصاب الكثيرين. قال تعالى:{ **قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبل الرشاد** }[49]. وبذلك فاستخف قومه فأطاعوه. يؤدي إلى نزف العقول المستمر ووأد الكثير من الامكانات الفكرية والمادية.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده خير أسوة أناءة وتقى وورع يقول تعالى{ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً** }[50]. وفي هذا السياق يقول العابد الزاهد عبد الله بن المبارك: إن لسان الحكيم وراء قلبه فإذا أراد أن يقول يرجع إلى قلبه فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى القلب فما أتى على لسانه تكلم به. وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباهاة.[51] وهذا من أخفى الأبواب التي يقتحم منها الشيطان على الداعية إذ تأتيه بعض البلاغة سليقة أو تكلفاً وإنها لساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته فالعاقل من يسأل الله فصاحة قلبه لا فصاحة لسانه.

دعائم الحوار وأسسه:

1- الاختلاف في الفروع ضرورة ورحمة وسعة.

2- إتباع المنهج الوسط وترك التنطع في الدين.

3- تجنب القطع في المسائل الاجتهادية.

4- ضرورة الإطلاع على اختلاف العلماء.

5- تحديد المفاهيم والمصطلحات والاتفاق حولها.

6- التعاون على المتفق عليه والتسامح في المختلف فيه.

7- الكف عمن قال لا إله إلا الله.

48 حسنة – عمر عبيد - مراجعات في الفكر والدعوة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي . الدار العالمية للكتاب الإسلامي ط 2 1992

49 سورة غافر ، الآية 29.

50 سورة النساء ، الآية 114.

51 طبقات ابن سعد، ج 5 ، ص 368.

فقه الخلاف :-

الخلاف: وفقه الخلاف عرفه خير أعلام الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف العلمي شيئاً. فالاختلاف قد يرجع إلى أسباب خلقية كالإعجاب بالرأي والغرور بالنفس أو يرجع إلى أسباب فكرية مردها إلى اختلاف وجهات النظر في الأمر الواحد وهذا سببه الاختلاف في زوايا الرؤيا تبعاً لتوفر المعلومات عند طرف ونقصها عند الطرف الآخر في فهم الفروع تبعاً لتعدد المشارب والمدارس أو فهم النصوص أو الاستنباط فيما لا نص فيها.

أسس فقه الاختلاف

1- الإخلاص والتجرد عن الأهواء.

2- التحرر من التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف.

3- إحسان الظن بالآخرين.

4- تجنب الطعن والتجريح للمخالفين.

5- البعد عن المراء واللد في الخصومة.

6- الحوار بالتي هي أحسن.

فعلى المرء أن يراقب الله في ذلك، وليعلم أن الإنسان أيّاً كان، كريم عند الله تعالى ويتفاضل الناس بعد ذلك بالتقوى يقول الله تعالى: **{ إن أكرمكم عند الله أتقاكم }**[52] فالحوار البناء يتطلب قواعد ومرتكزات أساسية يؤدي غيابها إلى إفساد معنى الحوار وإن تم فهو هراء لا معنى له. بل قد يؤدي إلى نتائج عكسية وليتذكر المسلم أنّ الحوار هدفه بيان الحق وليست إلزام قبوله قال تعالى: **{ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي }**[53] ولعل من آثار هذه الآفة النفسية أن يستأثر المحاور بالكلام دون الطرف الآخر ظناً منه أن قوله الحق، فضلاً عن الإطالة في الكلام والتي هي إحدى آفات الخطباء والمحاورين.

يقول ابن المقفع : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول وأعلم ما تكلم به صاحبك إن مما يهجن[54] صواب ما يأتي به ويذهب بطعمه وبهجته ويزري به عجلتك بذلك وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضي إليك بذات نفسه."[55] وقديما قال الشاعر العربي:-

من لي بإنسان إذا خاصـمته وجهلت كان الحلم رد جوابه

وإذا صبوت إلى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصـغي للحـديث بسمـعه وبـقلبـه ولـعلـه أدرى به

ومن وصايا الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه " يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول. وتعلم حسن الاستماع كماتتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك.[56]

52 سورة الحجرات ، الآية 13

53 سورة البقرة ، الآية 256.

54 يهجن: يقبح.

55 ابن المقفع الأدب الكبير دار الجيل بيروت ط 1981 ص 119.

56 ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ، عيون الأخبار، دار المطبوعات العربية بيروت لبنان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج2 ، ص 95.

وبعد هذا ينبغي على المحاور أن يراقب صناعة الكلام وأدواته . فإنّ قوة التعبير وفصاحة اللسان . وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة والحوار الناصح، فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه. وكم من باطل ظهر لأنّ الذي يدعوا إليه فصيح بليغ لذلك ينبغي على المحاور الجيد أن يضبط كلامه ويتقن لغته، لأن الكلام المحكم الذي يتوالى بانتظام واسترسال وترتيب يترك أثراً جيداً في نفوس السامعين قال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام عند عزمه القيام بهذه المهمة العظيمة، مهمة الإبلاغ والحوار قال { **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي** }[57]

ومن بعد ذلك فينبغي للمحاور حتى يكسب ثقة من يحاوره أن يلتزم عدة أمور منها: عدم رفع صوته أكثر مما يحتاجه سامعه فإنه رعونة وإيذاء[58] وقبل ذلك يدعو القرآن الكريم إلى التوسط في كل شيء قال تعالى:{ **وأقصد في مش يك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** }[59]

فظاهرة التوسط أو الوسطية تعتبر خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية بجعل الاختيار الإلهي {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**}[60] وذلك من حيث كون الجماعة التي يعبّر عنها، فهي محور جذب واستقطاب ومن ثم فهي مصدر للتوازن والانسجام بين الجماعة البشرية[61].

وكذلك أمة وسطاً من حيث الاعتدال في المزاج بعيداً عن الإفراط والتفريط. وهي وسط من حيث موازين القوة التي تقوم عليها. فمن حيث جغرافية الموقع فإنّ الحزام القاري الإسلامي يمثل امتداداً حيوياً يتوسط المعمورة[62].

وقد نبه علماء النفس إلى بعض الحقائق منها أن صاحب الصوت العالي غالباً ما يكون ضعيف الحجة، قليل المضمون، يستر عجزه بالصراخ. وقد وجد بالتجربة أن الصوت المعتدل هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم. وحتى تتم الفائدة عليك بتلوين الصوت و تجزئة الكلام والتمهل في مقاطعه. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكنه يتكلم بكلام لو عده العاد لأحصاه"[63] .

الحوار أبعاده ودلالاته:

من الوسائل التي تقرب بين المتحاورين: عدم استخدام ضمير المتكلم كقولك عملت، وأود أن أشرح لك وما شاكل ذلك، وكذلك استعمال ضمير الجماعة الذي يفهم منه التفخيم فكل هذه الطرائق تؤدي به إلى مدح نفسه أدَرى بذلك أو لم يدر، وبدلاً عن ذلك عليه أن يستعمل الصيغ التي لا تنسب العمل لذاته والتي توحي بالموضوعية، وعزو الفضل لأصحابه كأن يقول؛ ويبدو للدارس كذا وكذا أو تدل تجارب العاملين في هذا الحقل على كذا وكذا.

57 سورة طه ، الآية 28.

58 التعاليم للإمام حسن البناء، ص 175.

59 سورة لقمان، الآية 19.

60 سورة البقرة الآية 148.

61 القرضاوي ، الدكتور يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة ط4، 1989م، ص115

62 النعيم – عبد الله محمد الأمين ، الحضارة الإسلامية ، المفهوم – العوامل – الأسس والنظم ، معهد إسلام المعرفة السودان، ط1 2007، ص96.

63 أخرجه البخاري، ج11، ص402، رقم 33003.

ومما هو معلوم حتماً أنّ القرآن الكريم قد حوى كل تفاصيل حياة الناس والكون **{ ونزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء}**[64] فلم يترك صغيرة ولا كبيرة ولا شاردة ولا واردة إلا أشار إليها ومن ذلك تنظيم لمجريات الحوار وإدارته بشكل يحقق الرضا والمقاصد المطلوبة ومن ذلك:

يعد عامل المكان عنصراً مهما في إنجاح عملية الحوار فليست كل الأماكن تصلح لذلك وعلى سبيل المثال" وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا" وقال صلى الله عليه وسلم أن هذه المساجد لا تصلح إلا لذكر الله وما والاه"[65] وكذلك المقابر فهي دور للمراجعة والموعظة. والأسواق مكان للصخب والضوضاء. ويلحق بالمكان عنصر الزمان، فينبغي لإدارة الحوار اختيار الأزمنة المناسبة - وهي معلومة عند الجميع - ويلحق ذلك التهيؤ والاستعداد النفسي لدى الطرفين، كما لا يفوت على المحاور اللبق أن يتخير من مفاتيح الحوار ما يقرب إليه الطرف الآخر، قال الشاعر:

كل ما يحفظ لا يقال ولكن لكل مقام مقال

ومما هو معلوم أن نجاح العملية الحوارية يتوقف على اعتبارات كثيرة منها موضوع الحوار وطبيعته والاستعداد النفسي للمتلقي فكلها عناصر تتضافر لتحقيق الهدف المقصود وهو جلاء الحقيقة، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوخى لنا في الموعظة كراهة السآمة علينا[66].

كذلك من الوسائل المهمة لإنجاح عملية الحوار وتحقيق أهدافه، ما تتركه من أثر طيب في نفس الطرف الآخر، ويتمثل في الموضوعية والاعتدال والتوازن، وقد يكون نقيضه إستعلاء وأثرة وذاتية. والاستعلاء له منافذ كثيرة يخرج منها قد تبدو في ملامح الوجه أو نبرة الصوت أو حركات اليدين والرأس وغيرها. وقد جرت عادة أكثر المحاورين أن يمعنوا الترصد والتركيز على أقوال الطرف الآخر لتصيد أخطاءه وهفواته والرد عليها. لكن هذا ما يتوجب مدافعته ومحاصرة هذه النفس التي بين جنبيه قال تعالى: **{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ }**[67].

وقال الإمام البوصيري:[68]

والنفس كالطفل أن تهمله شب
على حب الرضاع وأن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
وراعها وهي في الأعمال سائمة
وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم في الدسم

64 سورة النحل ، الآية 89.
65 أخرجه مسلم في باب نشد الضالة في المسجد، ج3، ص195، رقم 880
66.رواه البخاري.
67 سورة يوسف ،الآية 38.
68 البوصيري – شرف الدين عبد الله زين العابدين، بردة المديح ، مكتبة الفجر الجديد ، القاهرة ص 7.

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

فعلى المحاور الحكيم أن يتنبه لذلك وليتذكر أنه ينشد الحق ويبحث عن الصواب ويريد الهداية للآخرين لا التشنيع بهم. وعليه كذلك أن يتأنى في كل أمره حرصاً على حسن الاستماع وبالتالي حسن الإجابة والتأني هو قرين الرفق وما كان الرفق في شيء إلا زانه ولله در من قال:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الذلل

وكذلك من حسن السمت وكمال الأدب ما أشار إليه إبراهيم بن أدهم بقوله: " الحزم في المجالسة أن يكون كلامك عند الأمر، والسؤال بالمسألة في موضع الكلام على قدر الضرورة والحاجة وإذا طلبت فأحسن، وإذا أخبرت فحقق، وأحذر الإكثار والتخليط فإن من كثر كلامه كثر سقطه[69].

وإذا لم يسلِّم الطرف الآخر على ما تراه صواباً فلا تغضب ولا تحاول حمل الناس على ما تراه صواباً إذ " لا إكراه في الدين" فمن باب أولى ألا يكون إكراه في وجهات النظر ولنا في سلفنا الصالح أسوة في هذا الأمر فمن ذلك أنّ الإمام مالك عندما وضع كتابه الموطأ بأمر من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وعندما أراد المنصور حمل الناس على الموطأ كان الإمام مالك هو أول من اعترض على ذلك بحجة التوسعة على المسلمين وأنهم قد سمعوا أحاديث ورووا أخباراً واختار أهل كل بلد لأنفسهم ما اختاروا من أقوال الصحابة فقال له المنصور وفقك الله يا أبا عبد الله[70]. وكم اختلف ولاة عمر - وما أدراك ما عمر- فلم يفسد لهم الاختلاف ودهم ولم يعزلهم ولم يثوروا عليه ، وكما قيل فإنّ اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية. وكما قال الآخر: في الرأي تضطغن العقول وليس تضطغن القلوب. وفي النفس من الأسرار والخفايا ما لا يكشفه إلا عون الله لنا حتى أنّ الإمام الجنيد رحمه الله كان يقول : "أنظر ماذا خالط قلبك"[71] وهو القائل:

إنّ بحث الطبيب عن داء ذي الداء لأس الشفاء قبل الشفاء

وبعد ذلك يعد لين القول والتودد من أهم مفاتيح القلوب قال تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**[72] بل أن اللين والتلطف يتوجب حتى مع أعتى عتاة الأرض فرعون الطاغية قال تعالى **{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}**[73].

والتي هي أحسن تقتضي ألا تسفه آراء الغير وأن تبدي لهم الود ولو كانوا على غير رأيك فإنّ كسب القلوب أكثر أهمية من كسب المواقف ولو اتبعت غير التي هي أحسن مع قوة الحجة وصحة الأدلة والبراهين فإنّ النتيجة المؤكدة هي الإعراض

69 الراشد محمد أحمد العوائق، إحياء فقه الدعوة ، الكتاب الثاني ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط 12 ، 1988، ص16.

70 رواه الترمذي.

71 العوائق، ص10.

72سورة النحل ،الآية 125.

73 سورة طه ، الآية 42 ، 44 .

والنفور، لأنّ هذه النفس الموارة لا تسلم إلا لمن ألان جانبه ووطأ كنفه، وقديماً كان الكبر والاستعلاء من دواعي الإعراض والصدود عن الحق.

وينبغي أن نؤكد على الحقيقة المهمة وهى أنّ الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق سواء كان من عندك أو عند الطرف الآخر وليتجنب المحاور إفحام الآخرين وإسكاتهم فهذا إن أدى إلى النصر فإنه لا يؤدي إلى الهداية خاصة وإن كان الأمر في ملأ من الناس، قال شوقي:

وآفة النصح أن يكون جدالاً * وأذى النصح أن يكون جهاراً

وقد ورد في الأثر أنه من نصح أخاه في سر فقد جمَّله وزانه ومن نصحه في ملاء فقد فضحه وشأنه. وعن عائشة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه" وفي رواية أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه[74]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول" من يحرم الرفق يحرم الخير كله "[75].

وكان هذا هديه صلى الله عليه وسلم حتى مع مبعوثيه فقد ذكر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا"[76]. وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم بقوله:{ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** }[77] .

غير أنّ الأمر لا يكون كذلك في كل الأحوال ، فبعض الناس الذين في قلوبهم مرض قد يكون هدفهم من الحوار الإساءة إلى الفكرة وأهلها أو تجاوز حدود الأدب في الحوار بقصد إحراج الخيرين وإبراز سوءاتهم. فأمثال هؤلاء يتوجب على المحاور الفطن إحراجهم وتسفيه أحلامهم حتى يعلم الناس أنّ الحق يعلو أبداً قال تعالى:{ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** }[78] وقال تعالى: { **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ..** }[79]. ولكن تظل القاعدة العامة هي الرفق إلا لأولئك المكابرين المعاندين سفهاء العقول والأحلام. ولعل في الحوار التالي شاهداً على الرد المفحم الذي يأتي نصرة للقيم والشريعة فقد كان أحد المفتونين بالحياة الحديثة يتحدث عن تخلف الأمة. فقال : فيما قال أن الناس وصلوا إلى القمر ونحن لا نزال نتحدث عن الحجاب فقال له محاوره وما شأن الحجاب بذلك ؟ فقال الرجل: إنّه تخلف يعوق مسيرة التقدم والتنمية فقال له الداعية: إنّ في بلاد المسلمين أعداداً هائلة من النسوة خلعن الحجاب ومع ذلك لم تصلوا إلى القمر. وهنا ما كان من هذا المفتون إلا أن أسقط في يده ولم يعط جواباً، فأمثال هؤلاء يصلح معهم مثل هذا المنطق وهذا خلافاً للقاعدة العامة.

---

74 رواه مسلم.

75 رواه مسلم وأبو داؤود.

76 رواه البخاري ومسلم.

77 سورة فصلت، الآية38.

78 سورة الإسراء، الآية 81.

79 سورة العنكبوت، الآية 46.

كذلك من موجبات الحوار الهادف عدم التعصب لرأي أو فكرة أو مذهب. والتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، وهو يزري بصاحبه أيما زراية. فينبغي على المحاور الحكيم إذا سمع ما يسوءه أو يزري به فعليه أن يدع صاحبه يكمل حديثه ثم يستأذن في إبراز الوجه الآخر من القضية فلعل هذا الأسلوب أوقع في نفس الطرف الآخر بل ويكسبه احترام الآخرين وذلك لمعرفته بـ:-

1- أنّ الإنسان بشر يخطئ ويصيب فلا عصمة إلا للأنبياء. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" كل ابن آدم خطاء وخير الخطائيين التوابون"[80].

2- أنّ معرفة الحق ليس حكراًعلى أحد، والحكمة ضالة المؤمن أنّا وجدها فهو أحق الناس بها. وأنه يتمثل القول المأثور" نصف رأيك عند أخيك.

3- أنّ الموضوعية والأمانة تملي التسليم بالخطأ والاعتراف به بل ومن الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الجديدة والأدلة القوية التي يوردها الطرف الآخر، ويشير إليها كذلك وهذا من شأنه أن يفتح له قلب صاحبه ويذهب بروح التحفز التي تسود عادة أجواء الحوار والمناظرات.

فقد درج الصالحون على إنصاف الغير من أنفسهم حيث ورد أنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً. ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم:" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره بحسب أمريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[81] .

الخاتمة

غاية الأمر أنّ القرآن الكريم – وهو تبيان لكل شيء – قد أكّد على شرعية الحوار من خلال ورود مادة الحوار أو دلالاتها وقد أكّد عليه كخيار ينظم التعايش بين بني الإنسان علاوة على أنه من أنجع الوسائل في الإبلاغ والإقناع . كما أكدت الشَّريعة الإسلامية على ضرورة التزام آدابه ووسائله لتحقيق أهدافه العليا وإلا كان الخسران الفكري والمعرفي والذي تؤدي نتيجته حتماً إلى التصادم والفساد في الأرض قال تعالى: **{ فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم }**[82]

.

نوصّي بهذه التوصيات في الختام:

1. تعهد النفوس ومراجعتها فهي نزاعة للباطل.
2. إعادة التوازن للخطاب الدعوي
3. إلتزام الحكمة والحسنى في مسيرة الحوار
4. ضرورة إبراز القدوة الحسنة للمسلمين ولغير المسلمين
5. إقامة مبدأ التدرج في التبليغ والتطبيق، فهو سنة شرعية وطبيعية
6. السعي لتأليف القلوب.

80 أخرجه الترمذي

81 رواه الترمذي

82 سورة محمد ، الآية 22.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
1. الإدريسي، المقرئ أبو زيد، **لغة الحوار في القرآن الكريم**، مجلة الرشاد العدد العاشر السنة الخامسة نوفمبر 2000م.
2. البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، دار مكتبة الهلال بيروت، ط بدون 2004م.
3. البنا، الإمام حسن البنا، **التعاليم**، دار الاعتصام، القاهرة ط بدون 1995م.
4. البوصيري، شرف الدين عبد الله زين العابدين، بردة المديح، مكتبة الفجر الجديد القاهرة.
5. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح**.
6. الجوهري، شرف الدين عبد الله، **بردة المديح**، مكتبة الفجر الجديد، القاهرة.
7. حسنة، عمر عبيد حسنة، **مراجعات في الفكر والدعوة**، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الدار العلمية للكتاب الإسلامي ط2 1992م.
8. الراشد، محمد أحمد، **العوائق،إحياء فقه الدعوة** ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط12 ، 1988.
9. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ط2 1997م.
10. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، **الاعتصام**، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت.
11. عقيلي، إبراهيم، **تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1 1994م.
12. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث ، ط2 ، 1997م.
13. ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، **عيون الأخبار** ، دار المطبوعات العربية، بيروت، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1 ، 1996م.
14. القرضاوي، د. يوسف، **الخصائص العامة للإسلام** ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4 1989م .
15. القرطبي ، ابن عبد الله بن محمد الأنصاري – **الجامع لأحكام القرآن**.
16. قطب محمد إبراهيم حسين شاذلي – **منهج التربية الإسلامية**.
17. محمد بابكر العوض، **أصول الظاهرة الاتصالية في القرآن**، مجلة تفكر، المجلد2، العدد2 .
18. محمد الهاشمي الحامدي ، **محاور إسلامية** ، بيت المعرفة ، ط1 1989م.
19. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار مكتبة الهلال، بيروت ط بدون 2004م.
20. ابن المقفع، عبد الله محمد، **الأدب الصغير والأدب الكبير**، دار العلم بيروت، ط8 19997م.
21. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن جمال الدين ، **لسان العرب**، دار صادر بيروت.

22. النعيم، عبد الله محمد النعيم، **الحضارة الإسلامية المفهوم ، العوامل، الأسس**، معهد إسلام المعرفة السودان، ط1 2007م

23. ابن هشام، أبو محمد جمال الدين يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري، مطبعة السعادة، القاهرة.